بسم الله الرحمن الرحيم

غارات النورمان على الأندلس في عصر الأمارة

أ . د . ناطق صالح مطلوب(*)

النورمان(١)؛ كلمة لاتينية تعني سكان الشمال، وتطلق على شعوب شبه الجزيرة الاسكندنافية؛ ألد نمارك والسويد والنرويج الذين كانوا يعرفون باسم ألفايكنج. وهي لفظة مشتقة من الكلمة النرويجية" فيك " أي ساكن الخليج أو سكان الخلجان(٢). في حين وردت كلمة " الفايكنج " في المعاجم الإسبانية بمعنى: المحاربين.(٣)

وعرفوا في المصادر العربية، الأندلسية والمغربية منها خاصة بالمجوس(٤)،

(*) كلية الآداب / جامعة الموصل

(١) وهي تحريف للكلمة الإنكليزية (Norse men) أو للكلمة الأسبانية (Normandos) . ينظر، العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس. بيروت، ١٩٧٨ ص١٣٨. الحجي، التاريخ الأندلسي، ط١، دار القلم، ١٩٧٦. ص٢٢٧.

(2) Encyclopedia Britannica, vol, 23, p. 150-151.

(3) Encyclopedia Britannica, vol, 23, p. 151.

وينظر، العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، ص١٢٩.

(٤) المسعودي، مروج الذهب، بيروت، ١٩٦٥، ج١ ص١٨٤، ابن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس. تحقيق إبراهيم الابياري، بيروت ١٩٨٢، ص٧٨، ابن حيان، المقتبس، تحقيق محمود علي مكي، بيروت ١٩٧٣، ص٣٠٧، العذري، نصوص عن الأندلس، تحقيق عبدالعزيز الاهواني، مدريد، ١٩٦٥، ص٩٨.البكري، جغرافية الأندلس وأوربا (من كتاب المسالك والممالك) تحقيق الحجي، بيروت، ١٩٦٨، ص١١٢، ابن -

وأحيانا بالأردمانيين، وبالمجوس الأردمانيين[٥]. وتسميتهم بالمجوس يعود إلى إشعالهم النيران حيث ما نزلوا وعسكروا، وإذا ما أغاروا على بلد أشعلوا النار في أحيائه ونهبوا ما فيه. كما كانوا يستخدمون النار في حرق جثث موتاهم من الزعماء والقادة في مراكبهم[٦]. ومن عاداتهم هذه حسبهم العرب من عبدة النار (المجوس). والثابت ان النورمان عندما هاجموا الأندلس في عصر الإمارة كانوا على الديانة الوثنية يعبدون ويقدسون النجوم ومظاهر الطبيعة، وكانت النار من بين ما كان يعبد ويقدس لأسباب كثيرة[٧]. وأما تسميتهم بالأردمانيين، فواضحة الدلالة وهي تحريف للكلمة اللاتينية: نورمان، وقلب النون إلى همزة في أوائل أسماء الأعلام من طبيعة أهل الأندلس فهم يقولون مثلا (أربونه) في (نربونه)[٨].

ويعود النورمان إلى أصول جرمانية (تيتونية) ويتوزعون على ثلاث مجموعات كبيرة هي: السويديون، والنرويجيون والدنماركيون.[٩] وقد فرضت عليهم طبيعة

- الأثير، الكامل، بيروت، ١٩٦٥ ج٧ ص١٦، ابن دحية، المطرب، تحقيق إبراهيم الابياري، القاهرة، ١٩٥٤ ص١٣٨. ابن الابار، الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة ١٩٦٣، ج٢ ص٣٧٢، ابن عذاري، البيان المغرب، تحقيق كولان وليفي بروفنسال، بيروت، ١٩٨٠، ج٢ ص٨٧، ابن الخطيب، أعمال الأعلام، (القسم الخاص بالأندلس) تحقيق بروفنسال، بيروت ١٩٥٦، ص٢٠. ابن خلدون، العبر، دار الكتاب، بيروت، ١٩٨٦، ج٤ ص٢٨١.

(٥) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، ١٩٦٤ ج١ ص٤٩، وينظر، الحجي، في التاريخ الأندلسي، ص٢٢٧.

(٦) عاشور، ج١ ص٢١٠.

(٧) عاشور، ج١ ص٢٣٨ هامش رقم (٦). مؤنس، غارات النورمانيين على الأندلس، بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية، م٢، ج٢، لسنة ١٩٤٩- ص٢٤.

(8) provensal, Levi, Histoire de L'Espagne Musulmane, paris, 1950. vol, I. p,219.

(٩) عاشور، ج١ ص٢١٣.

بلادهم الجبلية المغطاة بالغابات والأحراش والمستنقعات، وقلة الأراضي السهلية الصالحة للزراعة التوجه نحو البحر فاشتهرت لديهم صناعة السفن من مختلف الأنواع والأحجام، وأصبحوا بمرور الزمن من اعظم القوى البحرية في العصور الوسطى[١٠]. ويعلل الباحثون خروج النورمان من بلادهم وقيامهم بغزواتهم المدمرة بأسباب نفسية واقتصادية واجتماعية وسياسية فحالة التخلف والبربرية التي كان عليها النورمان ولدت لديهم شعوراً بالحسد والطمع في البلاد المتحضرة والغنية، وهذا الشعور نفسه كان وراء الهجمات التي شنتها القبائل الجرمانية البربرية على إملاك الدولة الرومانية في أوربا من قبل. وأما الأسباب الاقتصادية فقد أفضى توقف العلاقات التجارية بين النورمان وفريزيا وسكسونيا بعد غزو الافرنج (فرنسا) لهذين البلدين عن حرمان النورمان من منافع تلك العلاقات مما دفعهم إلى اعتماد أسلوب القرصنة وغزو المناطق المأهولة والعامرة. وقيل ان تزايد عدد سكان البلاد الاسكندافية حتى ضاقت عليهم الأرض سبب آخر دفعهم إلى البحث عن مواطن جديدة وحياة أفضل. وأما الأسباب السياسية فتتمثل بتطور نظام الحكم وظهور الملكية وبخاصة في النرويج بعد ان تمكن هارولد الأشقر في منتصف القرن التاسع الميلادي من الاستحواذ على السلطان في البلاد، وقام بإجراءات من شأنها فرض هيبته على الآخرين. ويبدو إن مثل هذا التطور لم يلاقِ رضى كبار القوم وزعمائهم ففضل الكثير منهم الهجرة إلى أماكن جديدة عن الخضوع لنظام لم يألفوه من قبل[١١].

وتظل كل هذه الأسباب موضع نظر وجدل، وتبقى حقيقة تنامي القوات

---

(١٠) عاشور، ج١ ص٢١١.

(١١) ينظر، عاشور، ج١ ص٢١١ و ٢١٢.

النورمانية وبلوغها أوج قوتها في العدد والعدة وتفوقها على قوات الآخرين من بين أهم الأسباب التي دفعت النورمان لمغادرة مواطنهم الأصلية والتعرض لأوربا والأندلس ومن ثم المغرب العربي بغارات خلفت وراءها الكثير من الدمار والخراب، ومما يعزز هذا الرأي ما ذكره عاشور من ان الفريزيين الذين كانوا من اعظم القوى البحرية والتجارية في شمال غرب أوربا منذ القرن السادس الميلادي حتى منتصف القرن الثامن الميلادي لم يعد لهم وجود بعد ان حطم شارل مارتل في سنة ٧٣٤ م ثم شارلمان في سنة ٧٨٥ م قوتهم البحرية، فأصبح طريق التوسع باتجاه الجنوب مفتوحا دون عقبات أمام النورمان[١٢]. ولقد تطلب اعتماد النورمان لأساليب القرصنة والغزو والاستيطان في أراضي الغير حيث ما تمكنوا من ذلك، تهيأة مقاتليهم لتحقيق هذه الأهداف وأعدادهم إعدادا عاليا، فقد كان المقاتل النورماني يتصف بالخشونة وشدة البأس[١٣] والمهارة في القتال، وتنوع المعدات القتالية بما يعطي له تفوقا على خصومه، فهو مزود بحربة طويلة، وبلطة ودرع واق وخوذة حديدية، وسهام نارية تطلق من مراكبهم، أو من قبل الأشخاص[١٤].

وللنورمان أسلوبهم في غزو السواحل والمدن القريبة منها فقد كانوا يهاجمون السواحل المكشوفة التي لا تعترض قواتهم العسكرية، ويتحاشون الأماكن المحصنة بوسائل الدفاع والحراسة، ويستخدمون مبدأ المباغتة والسرعة بكفاءة كبيرة[١٥]. وهنا تجدر الاشارة إلى اثر التوجيه الجغرافي في توزيع غزوات النورمان،

---

(١٢) اوربا في العصور الوسطى ج١ ص١٢١.

(١٣) ابن القوطية، ص٧٩.

(١٤) عاشور، ج١ ص٢١١.

(١٥) العبادي، ص١٢٩.

فالسويدون الذين يواجهون شرق أوربا عبروا البلطيق وسلكوا وديان الأنهار للوصول إلى سهول شرق أوربا والبحر الأسود، والنرويجيون اتجهوا غربا فهاجموا إنكلترا وايرلندة والجزر الشمالية في المحيط الأطلسي، واتجه الدنماركيون نحو الجنوب والغرب فهاجموا بلاد الإفرنج وإسبانيا الشمالية والأندلس وسواحل المغرب العربي[١٦]، وهذا الفصيل من النورمان هو الذي يعنينا في هذا البحث، فقد تمكن هؤلاء من غزو فريزلاند على شواطئ بحر الشمال واتخذوها قاعدة ينطلقون منها للإغارة على سواحل بحر الشمال وسواحل دولة الإفرنج الغربية وما يليها إلى الجنوب[١٧].

ففي سنة ٢٢٩هـ / ٨٤٣ م أغاروا على مصب نهر اللوار وتغلبوا على جزيرة (نوارمونيية) واتخذوها قاعدة عسكرية. وفي أواخر هذه السنة دخلت قواتهم مصب نهر الجارون وبعض المناطق الأخرى وعاثوا فيها قتلاً وسبياً ومنها انساحوا جنوبا إلى إسبانيا الشمالية فشنوا غارة على سواحل اشتوريس الشمالية بالقرب من مدينة جيخون ونهبوا إقليمها ثم واصلوا التقدم جنوبا بحذاء الساحل حتى جليقة فتوغلوا في العمق ولم يتمكن ملك اشتوريس ردمير الأول من ردهم إلا بعد جهد جهيد . وبعدها بدأوا يتطلعون لغزو سواحل الأندلس[١٨].

---

(١٦) عاشور، ج١ ص٢١٣، مؤنس ، غارات ص٢٥ و ٢٦.

(١٧) عاشور، ج١ ص٢١٣ و ٢١٤.

(١٨) مؤنس، غارات ص٣٠.

➢ الغارة الأولى على الأندلس (٢٢٩هـ – ٢٣٠هـ / ٨٤٤ م)

ظهرت مراكب النورمان في المياه الإقليمية الأندلسية لأول مرة في بداية ذي الحجة من سنة ٢٢٩هـ / آب ٨٤٤ م قبالة سواحل اشبونة (لشبونة) وكانوا في قوة مكونة من أربعة وخمسين مركبا ومثلها أو يزيد من القوارب[١٩]، فسارع وهب الله بن حزم عامل مدينة اشبونة بالكتابة إلى دار الإمارة بقرطبة، ووضع أمام الأمير عبدالرحمن الثاني (٢٠٦هـ – ٢٣٨هـ / ٨٢٢ م – ٨٥٢ م) حجم القوات النورمانية وما يتوقعه من عدوان قد يهدد أمن وسلامة الأندلس. فخرجت الكتب من دار الأمارة إلى عمال السواحل والمدن الغربية بضرورة التحفظ والاحتراس[٢٠]. لكن تحركات النورمان كانت أسرع مما توقعته السلطات الأندلسية فهاجموا بسيط أشبونة وعاثوا فيه نهبا وقتلا ثم دخلوا المدينة بعد قتال ووقائع عديدة وصفها العذري بالملاحم[٢١] وأقاموا بها ثلاثة عشر يوما، أعادوا فيها تنظيم قواتهم وتطوير خططهم العسكرية بما يتلائم واستثمار هذا الانتصار، وقسموا قواتهم إلى مجاميع صغيرة[٢٢]، سارت مع الساحل نحو الجنوب فأغارت على مدينة قادس ومدينة شذونة بعدها وتجمعت عند مصب نهر الوادي الكبير فأطبقت عليه وأغارت على جزيرة قبطيل (الجزيرة الصغرى) فدخلوها يوم الجمعة الثامن من محرم سنة

---

(١٩) العذري، نصوص، ص٢٩٨ ابن عذاري، البيان، ج٢ ص٨٧.

(٢٠) العذري، نصوص، ص٩٩، ابن عذاري، البيان، ج٢ ص٨٧.

(٢١) نصوص عن الأندلس، ص٩٩.

(٢٢) مؤنس، غارات، ص٣١.

٢٣٠هـ / تشرين أول ٨٤٤ م فتحصنوا فيها واتخذوها معسكرا لقواتهم[٢٣]، واتخاذ النورمان لهذه الجزيرة معسكرا يعني تنفيذ مخطط يرمي إلى التوغل في العمق الأندلسي عن طريق مجرى النهر والإغارة على العامر من الأرض والمدن القائمة على ضفتيه، وهو أسلوب ليس بالجديد على النورمان فقد اعتمدوه في غاراتهم على بلاد الإفرنج وعلى اشتوريس من إسبانيا الشمالية كما ذكرنا. وبعد ثلاثة أيام من احتلال قبطيل تحركت أربعة مراكب[٢٤] فاحتلت قرية قورة الحصينة (وهي على اثني عشر ميلا من اشبيلية)[٢٥] بعد مقاومة وقتال شديدين في الثاني عشر من محرم، وفي اليوم التالي ظهرت قواتهم عند طلياطة (وهي لا تبعد اكثر من ميلين عن اشبيلية)[٢٦] فنهبوها وصعدوا إلى مدينة اشبيلية[٢٧]، وحاولت أربعة مراكب أندلسية خرجت من مدينة اشبيلية وقف تقدم الغزاة إلا انها واجهت سيلا من السهام النارية فشبت فيها النيران وعطلت فاعليتها[٢٨]. ومضى النورمان في التقدم حتى نزلوا جوفا من مدينة اشبيلية فغادروا مراكبهم وزحفوا نحو المدينة، وهنا تختلف الروايات التاريخية فمن قائل ان أهل اشبيلية وعاملها غادروا المدينة واعتصموا

---

(٢٣) الحميري. صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق، ليفي بروفنسال، القاهرة، ١٩٣٧، ص١٥٠ وقال: " ويعرف أيضا بالعسكر، لأنه موقع عسكر به المجوس (النورمان) واحتفروا حوله خندقا أثره باق إلى الآن " وينظر، مؤنس، غارات ص٣٢ و٣٣.

(٢٤) مؤنس، غارات ص٣٣.

(٢٥) العذري، ص٩٩.

(٢٦) ابن عذاري، ج٢ص٨٧. وقارن، العذري، ص٩٩.

(٢٧) العذري، ص٩٩، ابن عذاري ج٢ ص٨٧.

(٢٨) مؤنس، غارات ص٣٣.

بالمناطق المجاورة ومدينة قرمونة، ودخلها النورمان من دون صعوبة تذكر[٢٩]، ولكن الثابت من رواية العذري وهي من أدق الروايات وأوفاها إن أهل اشبيلية واجهوا القوات النورمانية وقاتلوهم قتالا شديدا إذ يقول : " واعتركوا مع المسلمين معركة شديدة "[٣٠] غير ان القوات الغازية عددا وعدة كانت فوق قدرات المدافعين فاضطروا إلى إخلاء المدينة والانسحاب إلى المناطق المجاورة في الرابع عشر من محرم، واستباح الغزاة المدينة أياما " ولم يرفعوا السيف عن كل ذي روح ظفروا به من الرجال والنساء والصبيان، والدواب والأنعام والطيور، وكل ما تناولته سيوفهم وسهامهم "[٣١] وعادوا إلى جزيرة قيطيل وأودعوا فيها ما غنموه من المدينة المنكوبة[٣٢]، ثم عاودوا دخولها فلم يجدوا فيها غير جماعة من كبار الشيوخ والنساء، لجأوا إلى أحد المساجد فقتلوهم عن أخرهم واحرقوا المسجد، فسمي هذا المسجد من ذلك الحين " مسجد الشهداء"[٣٣].

ويعزوا البعض احتلال مدينة اشبيلية بهذه السهولة وما حل بها من خراب ودمار إلى جملة من الأسباب هي:

- إن أهل اشبيلية لم يتوقعوا مهاجمة النورمان لمدينتهم لبعدها النسبي عن الساحل.
- ولم يحسب أهل اشبيلية حسابا لنهر الوادي الكبير، الذي سلكته قوات

---

(٢٩) ابن القوطية، ص٧٨ و ٧٩.

(٣٠) نصوص عن الأندلس، ص١٠٠ وينظر: ابن عذاري، ج٢ ص٨٧.

(٣١) العذري، ص٩٩.

(٣٢) العذري، ص٩٩، مؤنس، غارات، ص٣٣.

(٣٣) مؤنس، غارات، ص٣٣.

النورمان في الوصول إلى المدينة ولهذا كان الهجوم " شبه مفاجأة لأهل اشبيلية" مما أثر في معنويات البعض منهم.

- السرعة التي وصلت بها قواتهم المدينة إذ لم تستغرق المدة سوى ثلاثة أيام.
- كثافة قوات النورمان وتنوع معداتهم القتالية.
- خلو المدينة من الأسوار والتحصينات(٣٤).

وكل هذه الأسباب صحيحة، ولكن هذا لا ينفي تهاون أولي الأمر من عمال السواحل الغربية في تحمل مسؤولياتهم اتجاه المناطق التي أنيطت بحمايتهم، إذ ليس من المقبول ولا المعقول القول ان هجوم النورمان على سواحل الأندلس الغربية كان هجوما مفاجئا وغير متوقع وهو ما ردده بالتواتر كل من عرض لهجوم النورمان على بلاد الأندلس(٣٥).

ان الغارات العنيفة التي تعرضت لها بلاد الإفرنج سنة ٢٢٩ هـ / ٨٤٣ م واتخاذ النورمان لمصبات الأنهار مسالك للوصول إلى المدن والمناطق الغنية، ومن ثم ضربهم لسواحل إمارة استوريس المجاورة للأندلس وعيشهم في أقاليمها، كانت مؤشرات قوية لخطر محتمل الوقوع على الأندلس، لكن عمال السواحل والمدن الغربية – على الرغم من الحرب الدائرة في الجوار - لم يحركوا ساكنا إلا بعد ظهور مراكب النورمان قبالة مدينة اشبونة. ولا احسب ان خبراء الحرب الأندلسيين كانوا جاهليين بنوايا ومقاصد هذه القوات وأطماعها

---

(٣٤) الكبيسي، غزوات النورمانيين على الأندلس، بحث منشور في مجلة المؤرخ العربي، العدد ٤٠، لسنة ١٩٨٩، ص١٤٧.

(٣٥) ينظر على سبيل المثال، عنان، دول الإسلام في الأندلس، القاهرة ١٩٦٩، القسم الأول ص٣٦١ و ٣٦٣، الحجي، ص٢٣٢، الكبيسي ص١٤٧.

في البلاد العامرة، وما كانوا يستخدمون من أساليب في القتال تمكنهم من عمق البلاد، إلا ان هذه الخبرة لم توضف إلا بعد وقوع المحظور.

تطلب الأمر من دار الإمارة بعد اجتياح النورمان لمدينة اشبيلية استنفار قواتها البرية والبحرية، وبدأت طلائع القوات تصل مناطق اشبيلية تباعا وتجمعت في إقليم الشرف[٣٦] وكانت قيادتها منوطة بالحاجب عيسى بن شهيد ونوابه من القادة عبدالله بن المنذر، وعبدالرحمن بن كليب بن ثعلبة وعبد الواحد بن يزيد الاسكندراني[٣٧]، وفي مكان سماه العذري (مشدوم) ألحقت القوات الأندلسية بالنورمان أول هزيمة كبدتهم اكثر من سبعين قتيلا، فارتدوا من غير نظام واعتصموا بمراكبهم[٣٨] مما افقد القوات الأندلسية فرصة استثمار هذا الانتصار وتطوير عملياتهم العسكرية وفي قول العذري:" ثم نكل عنهم المسلمون وأحجموا وتوقفوا[٣٩]". دلالة واضحة على ذلك.

ويبدو من سياق الأحداث، ان القوات الأندلسية باتت تواجه ظروفا صعبة لافتقادها لسلاح البحرية والنار المؤثرة في مراكب النورمان، فظلت أياما من دون فعل يذكر، واستغل النورمان ذلك لصالحهم، وشكلوا من الخيول التي غنموها من جزيرة. قبطيل فرقا من الفرسان أخذت تشن غاراتها على المدن والمناطق المجاورة[٤٠] فأصابت مورور وبني الليث وأطراف العاصمة قرطبة

---

(٣٦) ينظر عنه، العذري، ص٩٥، الحميري، ص١٠١.

(٣٧) العذري، ص٩٩، ابن عذاري، ج٢ ص٨٧.

(٣٨) نصوص، ص٩٩.

(٣٩) نصوص، ص٩٩.

(٤٠) مؤنس، غارات، ص٣٧.

وبعض المناطق الأخرى بأضرار كبيرة[٤١].

وحمل تطور الأحداث بهذا الشكل الخطير الأمير عبدالرحمن الثاني إلى تجهيز قوات إضافية وزودها بكامل العدة، وولى عليها محمد بن سعيد بن رستم[٤٢]، وبعث باستنفار قوات الثغر الأعلى وقائدهم يومئذ موسى بن قسي[٤٣]. فمضى ابن رستم من فوره فنزل مدينة اشبيلية والتحم مع النورمان في قتال عنيف توقف عند حلول الليل، وتنحى ابن رستم بعد توقف القتال إلى موضع (كورتش) بقبلي المدينة وناجزهم القتال في صباح اليوم التالي فارتد النورمان منسحبين وعسكروا في طلياطة[٤٤]، ولم يكن انسحاب النورمان إلى طلياطة من دون أسباب قاهرة أجبرتهم على ذلك، فقد نجحت قوة أندلسية من إبادة سرية من سراياهم مكونة من ستة عشر ألف مقاتل بكمين نصب لهم في الطريق إلى مدينة مورور[٤٥]، ووافق أيضا وصول إمدادات أندلسية كثيفة بقيادة نصر الفتى[٤٦]. ومن ثم فأن نزولهم طلياطة قد يحقق لهم مزايا عسكرية افضل، وهو ما نستشفه من سير المعارك بين الطرفين.

تابعت القوات الأندلسية النورمان المنسحبين، وهي على تعبئة كاملة،

---

(٤١) ابن القوطية، ص٧٩.

(٤٢) ترجم له، ابن الابار في الحلة السيراء، ج٢ ص٢٧٢.

(٤٣) ابن القوطية، ص٧٩.

(٤٤) العذري، ص٩٩ و ١٠٠.

(٤٥) ابن القوطية، ص٨٠.

(٤٦) العذري، ص١٠٠، ابن سعيد، المغرب ج١ ص٤٩.

وفي يوم الثلاثاء الثاني من ربيع الأول سنة ٣٣٠هـ[٤٧] بدأت هجوما شاملا بضربات كثيفة ومركزة من المنجنيقات المنصوبة على ضفة النهر، ولم يجد النورمان أمامهم من ملجأ إلا النزول من مراكبهم إلى البر، والاشتباك مع القوات الأندلسية في معركة بذل فيها الطرفان غاية جهدهم، ونجح ابن رستم خلال المعركة بزج عدد من سرايا المقاتلين بين قوات النورمان ونهر الوادي الكبير حالت بينهم وبين مراكبهم، وبهذه الخطة تمكنت قوات الأندلس من تكبيدهم ما يقرب من خمسمائة قتيل، وتدمير أربعة مراكب بمن فيها، فأمر ابن رستم بإحراقها وبيع ما فيها من الفيء وأقام في معسكره أياما يرقب تحركات النورمان بين طلياطة وقبطيل، والقوات الأندلسية تتصدى لهم حيثما تمكنوا منهم[٤٨]، وظلت قواتهم مبعث قلق وإزعاج لأهل الغرب، واستمرت غاراتهم على المعمورة من المناطق إلى ان هبطت خمسة عشر مركبا من مراكب الأسطول الأندلسي عند اشبيلية وعندها لحق النورمان بمدينة لبلة وأغاروا عليها ونزلوا بعدها على وادي أبرو وعاثوا في جزيرة شلطيش، ثم لحقوا بأكشنبة فنزلوا على وادي آنة ثم إلى باجة فنزلوا بموضع يقال له سعس ثم المعدن ومنها إلى مدينة أشبونة واقلعوا بعدها مغادرين بلاد الأندلس[٤٩].

ويقال ان جماعة من فلول النورمان تقطعت بهم السبل و وقعوا في أسر القوات الأندلسية فخيروا بين الإسلام أو القتل، فاختاروا الإسلام واحترفوا تربية

---

(٤٧) العذري، ص١٠٠، ابن عذاري ج٢ ص٨٨ وفيه ان ذلك" كان يوم الثلاثاء لخمس يقين من صفر "، وفي الرواية خلط في الأحداث وخلل واضح.

(٤٨) العذري، ص١٠٠.

(٤٩) العذري، ص١٠٠.

المواشي وصناعة الألبان واليهم يعود الفضل في تطوير هذه الصناعة في الأندلس[٥٠].

وكان بين دخول النورمان إلى اشبيلية وخروج من بقي منهم وانقطاعهم عنها اثنان وأربعون يوما[٥١] وبين ظهورهم في المياه الإقليمية الأندلسية ومغادرتهم إياها نهائيا نحو من مئة يوم[٥٢]. عانى فيها سكان الغرب الأندلسي وأهل اشبيلية خاصة الكثير من المحن والشدائد، وحل الخراب والدمار جميع الناطق التي استطالتها أيدي الغزاة. ولو جاز لنا كما يقول مؤنس ان نتخذ مقاومة النورمان مقياسا لقوة دول ذلك العصر من الناحية الحربية، لاستطعنا ان نقرر ان دولة الأندلس كانت أقوى دول العالم المعروفة آنذاك وأكثرها همة ونشاطا وكفاية من الناحية الحربية، فضلا عما امتازت به على غيرها من النظام الإداري والنهوض الحضاري[٥٣].

لقد نبهت غارات النورمان أولي الأمر في الأندلس إلى ضعف التحصينات على السواحل الغربية والجنوبية الغربية وقلة الحاميات المدافعة عنها، فاصدر الأمير عبدالرحمن الثاني الأوامر بتحصين المدن الساحلية وتأمينها ضد الأخطار الخارجية وقامت الربط على طول الساحل بين أشبونة وأرقش وعمرت بالمرابطين من أهل الدين والتقوى الراغبين في الجهاد، وبنيت المحارس للمراقبة والأخبار عن أي تحرك معادي من جهة

---

(٥٠) الحجي، ص٢٣٢ و ٢٣٣.

(٥١) ابن عذاري، ج٢ ص٨٨.

(٥٢) الحجي، ص٢٣٢.

(٥٣) غارات، ص٤٠.

المحيط[٥٤] وأعادت دار الأمارة تعمير ماخربة الغزاة[٥٥] ونالت مدينة اشبيلية عناية خاصة فأحيطت بسور محكم البناء، اشرف على هندسته وبناءه عبدالله بن سنان[٥٦] ونشأت بها أول دار لصناعة السفن في جهة الغرب الأندلسي وانتظم بها رجال البحر المدربون، وأصحاب الخبرة، وزودت بالآلات وقوارير النفط[٥٧] وأعيد تعمير جامع اشبيلية وبناء المساجد التي احرقها النورمان[٥٨]، وكل ما تعرض إلى التدمير من المرافق العامة في مدينة اشبيلية وغيرها[٥٩].

وينفرد ابن دحية الكلبي في كتاب المطرب بالحديث عن سفارة أوفدها ملك الدنمارك هوريك إلى قرطبة تعبر عن رغبة بلاده في عقد الصلح، وفتح صفحة جديدة في العلاقات بين البلدين، بعد مهاجمة مواطنيه لأرض الأندلس، وقد استقبل الأمير عبدالرحمن الثاني أعضاء السفرة وأبدى موافقته على الصلح، وتوثيقا للعلاقات بين الطرفين، وجريا على الأصول الأندلسية المتبعة في التعامل مع الدول، بعث الأمير عبدالرحمن سفارة أندلسية اختار لتمثيله فيها الشاعر والفيلسوف يحيى بن حكم الغزال المتوفى سنة ٢٥٠هـ[٦٠] وبصحبته

---

(٥٤) المقري، نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨، ج١ ص٣٤٦- مؤنس، غارات ص٥٥، الكبيسي، ص١٤٩، العبادي، ص١٤٠.

(٥٥) ابن خلدون، ج٤ ص٢٨١، المقري، ج١ ص٣٤٦.

(٥٦) ابن القوطية، ص٨١، وينظر: البكري ص١١٢، الحميري، ٢٠.

(٥٧) ابن القوطية، ص٨٢ و ٨٣.

(٥٨) ابن القوطية، ص٨١ و ٨٢، الحميري، ص٢٠، البكري، ص١١٢.

(٥٩) عنان، القسم الأول ص٣٦٤.

(٦٠) الضبي، بغية الملتمس، القاهرة، ١٩٦٧ ص٥٠١.

يحيى بن حبيب رافقت سفارة ملك الدنمارك في طريق العودة إلى بلادهم، وقد لقي الغزال الملك هوريك وزوجته وولي عهده وقام بمهمته احسن قيام. وعاد إلى الأندلس بعد رحلة دامت عشرين شهرا[٦١] وسواء كانت هذه السفارة من باب الأساطير أو كانت حقيقة تاريخية[٦٢] فان مثل هذه الاتفاقات ما كانت لتدوم طويلا بسبب ضعف سلطان ملوك النورمان على مواطنيهم الذين اختاروا القرصنة والسلب والنهب أسلوبا لحياتهم ونزلوا أوطانا غير أوطانهم ومنها كانوا ينطلقون لمهاجمة البلدان الوفيرة الخيرات.

➢ **الغارة الثانية على الأندلس (٢٤٥هـ - ٢٤٧هـ / ٨٥٩ - ٨٦١ م)**

بوفاة الملك هوريك سنة ٢٣٩هـ / ٨٥٤ م سادت الفوضى والاضطرابات في بلاد الدنمارك خاصة، ومناطق نفوذ النورمان عامة. وولدت حالة الفوضى فراغا سياسيا كبيرا، ظهرت خلاله شخصيات تنازعت الزعامة والرئاسة وتحررت من كل القيود والالتزامات، ومضت في طريق القرصنة والإغارة على السواحل التي استطاعوا الوصول إليها[٦٣].

وتعد الفترة من سنة ٨٥٠ - ٨٧٨ م من اكثر فترات عهد القرصنة في تاريخ النورمان نشاطا. ففي سنة ٢٤٥هـ / ٨٥٩ م عاود النورمان (الدنمارك) مهاجمة بلاد الإفرنج بأسطول كبير من المراكب كان يتولى قيادته زعيم لهم يعرف باسم (بيورن بارنيسيوا) مستغلا الصراع الذي نشب بين أبناء الملك لويس التقي على السلطة وتمكنت قواته من احتلال مناطق واسعة على مصبات انهار الراين والسين

---

(٦١) ص١٣٨- ١٤٦.

(٦٢) ينظر: مؤنس، خرك من ٤٢ وما بعدها، الكبيسي، ص١٥٠.

(٦٣) مؤنس، ص٩٤، الحجي ص٢٣٦. وفيه ان وفاة الملك هوريك كانت سنة ٢٤٠هـ.

واللوار والجارون، وأقام عدة قواعد عسكرية أصبحت فيما بعد موطنا لجماعات كبيرة منهم(٦٤).

وكما في الحملة الأولى انحدر النورمان جنوبا بعد ان انضمت إلى قوات بيورن مجموعة أخرى من المراكب كان يقودها (هاشتاين) أو (هيستنجر) ويتفق كتاب المدونات اللاتينية من الأسبان على ظهورهم أمام شواطئ اشتوريس في الثامن من مايس سنة ٨٥٩ م وقيامهم بشن غارات واسعة النطاق ثم غادروها متجهين نحو بلاد الأندلس(٦٥). والظاهر ان هدف النورمان هذه المرة هو الحصول على قاعدة أو موضع قدم لهم عند مصبات الأنهار الأندلسية جريا عل سياستهم في بلاد الإفرنج، وهو ما فشلت بتحقيقه الحملة الأولى سنة ٢٢٩هـ / ٢٣٠هـ.

قدرت المصادر التاريخية حجم القوات النورمانية التي دخلت المياه الأندلسية باثنين وستين مركبا(٦٦). ولكنهم وجدوا سواحل الأندلس هذه المرة على غير ما كانت عليه في الحملة الأولى، فقد كانت السواحل محروسة والقوات البحرية الأندلسية تجوب السواحل ما بين بلاد الإفرنج في الشرق إلى أقصى غاليسية في الغرب، ودورياته ترقب تحركات ومقدم المراكب النورمانية حيث تمكنت إحدى الدوريات من اسر مركبين من مراكبهم كانت في مهمة استطلاعية عند مرسى باجة(٦٧). وواصلت القوات النورمانية تقدمها وعند مصب نهر الوادي الكبير تصدت لها القوات الأندلسية وبعد معركة بين الطرفين، خرج النورمان من ميدان

---

(٦٤) مؤنس، ص٦٦.

(٦٥) مؤنس، غارات، ص٦٧ و ٦٨.

(٦٦) ابن حيان، المقتبس ص٣٠٨. وقال العذري، ص١١٨ " في ثمانين مركبا".

(٦٧) ابن حيان، ص٣٠٨. ابن عذاري، ج٢ ص٩٦.

المعركة مخلفين وراءهم عددا من المراكب ومنسحبين ناحية الجنوب لعلهم يجدون في سواحل هذه المناطق ما يمكنهم النزول إلى البر، وقد تحققت لهم الفرصة عند سواحل الجزيرة الخضراء فهاجموا حاضرتها واستباحوها أياما ودمروا كل ما وصلت إليه أيديهم من عمائر المدينة، واحرقوا مسجدها الجامع[٦٨]، وما يقال عن متابعة الأسطول الأندلسي لمراكب النورمان المنسحبة عن السواحل الغربية، وانه كان وراء إقلاع النورمان السريع من الجزيرة الخضراء[٦٩] فقول فيه نظر بدليل ما حل بالجزيرة الخضراء من كارثة، فقد اكتفى قادة الأسطول برد النورمان عند مصب نهر الوادي الكبير، ولم يتعقبوا القوات المعادية التي لا زالت تبحر في المياه الأندلسية وتهدد السواحل والمدن المأهولة والعامرة. ولكن يمكن القول استنادا إلى رواية معاوية بن هشام وهي من أوسع الروايات التاريخية تفصيلا لغارة سنة ٢٤٥هـ، وليس في الرواية ما يؤاخذ عليه ابن هشام أو ما يؤاخذ عليه راويها ابن حيان، إلا ألوهم في التاريخ فقط، فبدلا من سرد أحداثها تحت سنة ٢٤٥هـ أوردها ابن حيان في أحداث سنة ٢٤٧هـ[٧٠]، ومن ثم فان الأخبار والأحداث في الروايتين (رواية ابن حيان سنة ٢٤٥هـ ورواية ابن هشام سنة ٤٧٢هـ) تكاد تكون متطابقة، ويكفي مقارنة الروايتين مع بعضها للوقوف على ذلك.

أقول وحسب رواية معاوية بن هشام فإن الأمير محمد بن عبدالرحمن (٢٣٨- ٢٧٣هـ / ٨٥٢- ٨٨٦ م) أمر قادة الجيش حال سماعة بظهور النورمان في المياه الأندلسية الغربية بالتحرك إلى المناطق المعرضة للخطر، فأرسل الحاجب

---

(٦٨) ابن حيان، ص٣٠٨ وينظر، العذري، ص١١٨ و ١١٩.

(٦٩) ينظر، مؤنس، ص٦٩، الكبيسي، ص١٥٢.

(٧٠) المقتبس، ص٣١١.

عيسى بن الحسن بن أبى عبده إلى مدينة اشبيلية وقدم كليب بن محمد بن ثعلبة في كثيف من الرجال إلى الجزيرة الخضراء، وأخرج عبد السلام بن عبد الله بن ثعلبة إلى مدينة ريه[٧١]. ومعروف أن قوات كليب بن ثعلبة لم توفق في حماية الجزيرة الخضراء، فدخلها النورمان واستباحوا حاضرتها كما ذكرنا حتى وصلت الإمدادات من مدينة ريه بقيادة عبد السلام بن عبد الله وعندها أجبر النورمان على المغادرة بعد ان مكثوا فيها مديدة. وقد أشار الشاعر عبد الله بن محمد الجزيري إلى هذه الأحداث في شعر له بكى فيه قومه أهل الجزيرة وأثنى على القائد عبد السلام بن عبدالله لجميل بلائه في حمايتهم والذود عنهم[٧٢]. وبهذا يمكن تبرير السرعة التي غادر بها النورمان الجزيرة الخضراء وحاضرتها دون فعل يذكر للأسطول الأندلسي.

يبدو أن الغارة على الجزيرة لم تحقق للنورمان كبير مغنم ولهذا جربوا دخول البحر المتوسط لأول مرة في تأريخهم[٧٣]، فشنوا غاراتهم على إمارة نكور واحتلوا حاضرتها (نكور) فسلبوا ونهبوا كل ما قدروا عليه، وقيل انهم أسروا عددا من أفراد الأسرة الحاكمة[٧٤]، وبعد أن امضوا فيا ثمانية أيام[٧٥]، اقلعوا منها عائدين إلى السواحل الأندلسية الشرقية فأغاروا على تدمير وأريولة[٧٦] ثم عادوا إلى بلاد الإفرنج وأمضوا فصل الشتاء عند ساحل فرنسا الجنوبي عند منابع

---

(٧١) ابن حيان، ص٣١٢ و ١٣١.

(٧٢) ابن حيان، ص٣١٣.

(٧٣) مؤنس، ص٦٩.

(٧٤) ابن القوطية ص٨١ وينظر، العذري ص١١٩.

(٧٥) ابن عذاري، ج١ ص١٧٦، وينظر الكبيسي، ص١٥٢.

(٧٦) العذري ص١١٩، ابن غذاري ج٢ ص٩٧.

الرون[٧٧] وتعرض أسطولهم خلال ذلك لعاصفة ذهبت بأكثر من أربعين مركبا من مراكبهم[٧٨]. وبعد انقضاء فصل الشتاء ظهر النورمان مرة أخرى في مياه الأندلس، وعند سواحل شذونة تصدت لهم القوات البحرية الأندلسية وعليها أميرا البحر قرقاشيش بن شكوح وخشخاش البحري، وهم في كامل العدة من الآلات والأسلحة النارية والرجال، فأصابوا مركبين من مراكبهم فيها أموال كثيرة وأمتعة واسعة، واحرقو مركبين آخرين بما فيهما، واشتد القتال بين الطرفين، وكان لأمير البحر خشخاش لبحري اليد العليا والطول فأحدقت به مراكب العدو من كل جانب "وضاربهم في صدر مركبه دراكا حتى استشهد رحمه الله"[٧٩]، ولم يصمد النورمان طويلا فانسحبوا من الميدان، ولم يجدوا أمامهم لتعويض خسائرهم سوى الإغارة على إشبيلية نافار فاستباحوا عاصمتها بنبلونة واسروا أميرها غرسيه بن وفقة ولم يطلقو سراحه إلا بعد فدية بلغت السبعين آلفا من الدنانير، وقيل تسعين ألفا[٨٠].

وأما غارة النورمان على الأندلس في سنة ٢٤٧هـ فلا يمكن اعتبارها غارة منفصلة وإنما هي امتداد لتلك الغارة الواسعة النطاق والتي طال أمدها وتعدت سنة ٢٤٥هـ إلى سنة ٢٤٦هـ وهو ما يقول به ابن خلدون[٨١]، وان ما بين انفصال النورمان عن مياه الأندلس وعودتهم إليها مرة أخرى في سنة ٢٤٧هـ كانت أشهرا

---

(٧٧) مؤنس، ص٣١.

(٧٨) العذري، ص١١٤، ابن حيان ، ص٣٠٩. ابن غذاري ج٢ ص٩٧. وتؤيد المصادر اللاتينية القديمة هذه الأحداث. ينظر مؤنس، غارات، ص٧١.

(٧٩) ابن حيان، ص٣٠٩ وينظر، العذري ص١١٩.

(٨٠) ابن حيان، ص٣٠٩، العذري، ص١١٩.

(٨١) العبر، ج٤ ص٢٨٢.

عددا، ولذلك لم نجد أي إشارة عن حجم القوات النورمانية ولا عن الجهة التي ظهروا فيها أو السواحل التي ظهروا عليها هذه المرة إذ يبدأ حديثهم دون مقدمات بظهور مراكبهم عند البحيرة من الجزيرة الخضراء، حيث واجهت ريحا قاصفا أغرقت لهم أربعة عشر مركبا[٨٢]. وما ذكره الأستاذ الكبيسي عن عدد المراكب والجهة التي ظهرت بها قواتهم إنما استقاه من رواية معاوية بن هشام التي نقلها ابن حيان في مقتبسه[٨٣]، وقد سبق أن أشرنا إلى هذه الرواية والوهم الحاصل في توقيتها.

والمتفق عليه ان قوات النورمان في هذه الكرة عادت خائبة بعد ان عجزت من إيجاد ثغرة على السواحل الأندلسية تعينها من النزول إلى البر، أو كما يقول ابن حيان: " فلم يكن لهم في هذه الكرة من الانبساط في البحر والإضرار بأهل السواحل ما جرت به عادتهم، ولم يجدوا في السواحل مطمعا لشدة ضبطها"[٨٤].

ان الجهود الكبيرة التي بذلها الأمير عبدالرحمن الثاني في تحصين السواحل الغربية وتقوية الأسطول قد استمرت وأثمرت في عهد ولده الأمير محمد الذي تمكن وباقتدار عال من هزيمة النورمان في اكثر من موقعة وتكبيدهم الكثير من الخسائر في المراكب والرجال، وكل هذا يدل على ان النورمان لم يتمكنوا من تثبيت أقدامهم في الأندلس كما فعلوا في كثير من البلاد مثل بلاد الإفرنج (فرنسا) وإنجلترا وأيرلندة وغيرها[٨٥].

---

(٨٢) ابن حيان، ص٣١١ وينظر: العذري، ص١١٩.

(٨٣) غزوات النورمانيين، ص١٥٣.

(٨٤) المقتبس، ص٣١١.

(٨٥) العبادي، ص١٤١.

خط سير النورمان

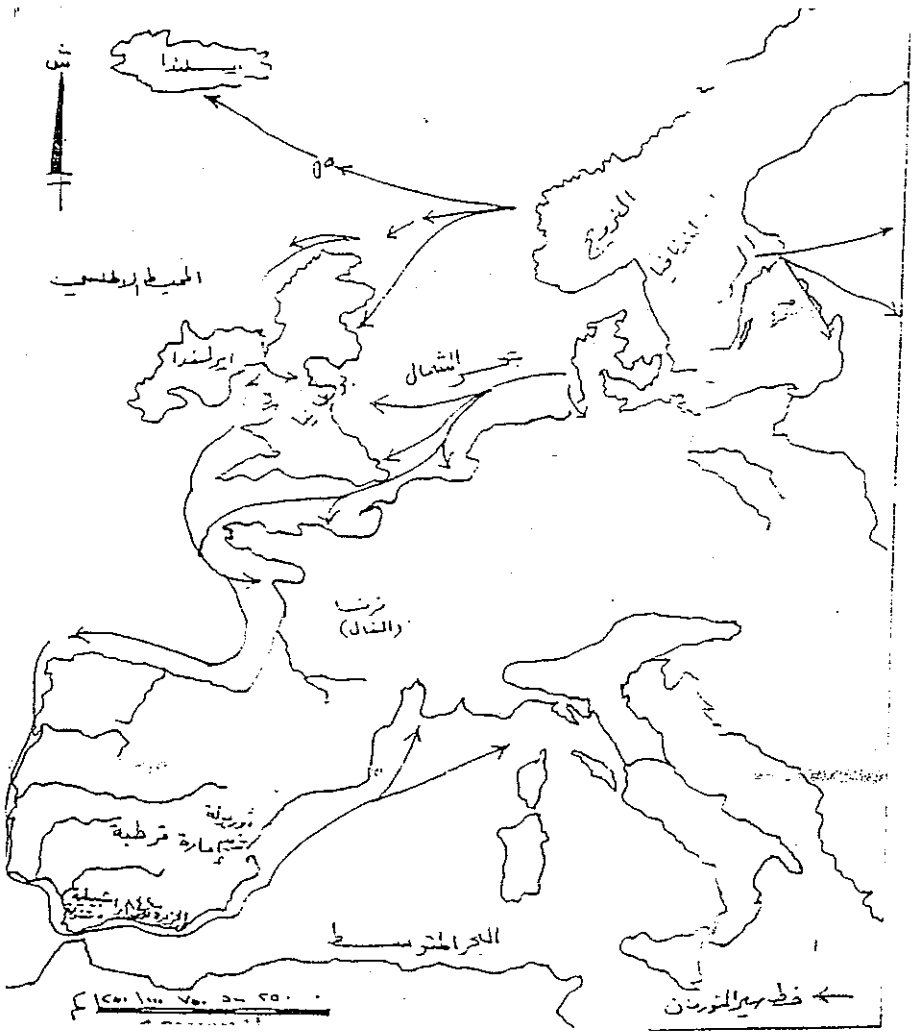

عن:-

The TIMES ATLAS OF World History, Edited by Geoffrey Barraclough, (London-1979), p. 111.